٨٠- أخبرنا محمد، قال أخبرنا أبو أحمد، قال حدثنا محمد، قال حدثنا ابراهيم بن عيينة، قال حدثنا عبدالواحد بن أيمن، قال: كان الحسن بن محمد بن الحنفية يأمر أن أقرأ هذا الكتاب على الناس: أما بعد فإنا نوصيكم بتقوى الله، ونحثكم على أمره، ونرضى لكم طاعته(٢٨٧)، ونسخط لكم معصيته وإن الله أنزل الكتاب بعلمه فأحكمه، وفصله وأعزه، وحفظه أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه(٢٨٨)، وضرب

← تبلغك ومن هو دونك. إن الله عز وجل لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله. ومنهم من أكرهه السيف، فهو عواد الله وجيران الله في خفارة الله. إن الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض، انتقم الله منه. وإن الرجل لتؤخذ شاة جاره، فيظل ناقىء عضلته غضباً لجاره، والله من وراء جاره، قال رافع: «فمكثت سنة ثم أن أبا بكر استخلف، فركبت إليه، فقلت: «أنا رافع كنت لقيتك يوم كذا وكذا، مكان كذا وكذا، قال: عرفت. قلت كنت نهيتني عن الامارة ثم ركبت بأعظم من ذلك أمة محمد ﷺ. قال: نعم. فمن لم يقم فيهم بكتاب الله فعليه بهلة الله - يعني لعنة الله.

قال الهيثمي: المجمع (٥: ٢٠١-٢٠٢) «رواه الطبراني ورجاله ثقات». وفي الإصابة قال ابن حجر عند ترجمة رافع بن أبي رافع (١: ٤٩٧): «روى الطبراني من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع قال: كانت غزوة ذات السلاسل استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش فيهم أبو بكر. فذكر الحديث بطوله.

وأخرجه ابن خزيمة من طريق طلحة بن مصرف عن سليمان عن طارق قال: وكان رافع لصاً في الجاهلية وكان يعمد إلى بيض النعام. فيجعل الماء فيه فيخبؤه في المفاوز، فلما أسلم كان دليل المسلمين.

قال رافع: لما كانت غزوة ذات السلاسل قلت: لاختارن لنفسي رفيقاً صالحاً فوفق لي أبو بكر فكان ينيمني على فراشه، ويلبسني كساءاً له، من أكسية فدك. فقلت له علمني شيئا ينفعني. قال: اعبد الله ولا تشرك به شيئا، وأقم الصلاة، وتصدق إن كان لك مال، وهاجر دار الكفر ولا تأمر على رجلين. الحديث. أ. هـ.

● في هذا الأثر يوصي الصديق رضي الله عنه رافعاً حينما سأله عن عمل يكون به مثل أولئك الصحابة الكرام وينال ما ينالونه من عظيم الدرجات والثواب. فيخبره أن ذلك أمرٌ سهلٌ متى التزم شرائع الإسلام القولية والعملية موضحاً ما يدور عليه الإسلام منها، وهي إخلاص العبادة لله وحده. وتصديق رسوله المقتضى الإتباع. والتزام تشريعه أمراً ونهياً، وإقام الصلاة التي هي أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، وإيتاء الواجب في الأموال وهي الزكاة. وصيام شهر رمضان. وبين أنه إذا فعل ذلك صار مثلهم في الإيمان والثواب.

وحذّره من الإمارة لما يتعرض له من تولاها من الحيف والظلم مما يعرضه لسخط الله فيكون ذلك سبباً في نقصان كمال إيمانه وخفة ميزانه عند الله عز وجل. فالصديق رضي الله عنه أخبره أنه لا يكون مثلهم بالأقوال فقط بل أوضح أنه لابد مع ذلك من الأعمال المشار إليها.

(٢٨٧) الرضا: ضد السخط، القاموس (٤: ٣٣٦)، والمراد هنا نحب لكم طاعته باتباع أمره واجتناب نهيه.

(٢٨٨) لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه: أي لا يتطرق إليه الباطل من جهةٍ من الجهات، ولا مجال للطعن فيه، فليس للباطل إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين. أنظر تفسير القرطبي (١٥: ٣٦٧) وابن كثير (٤: ١٠٢).

أمثاله، وبين عبره[٢٨٩]، وجعله فرقاناً[٢٩٠] من الشر[٢٩١]، ونوراً من الظلمة، وبصراً من العمى[٢٩٢]، وهدىً من الضلالة، ثم تمت النعمة، وأكملت العبادة، وحفظت الوصية، وجرت السنة، ومضت الموعظة، واعتقد الميثاق، واستوجبت الطاعة، فهو حبل الله المتين، والعروة الوثقى، لا انفصام لها، بها سبق الأولون، وبها أدرك الآخرون، كتاباً تولى حكمه، وارتضاه لنفسه، وافترضه على عباده، من حفظه بلغه ما سواه، ومن ضيعه لا يقبل منه غيره، أما بعد: فان الله تبارك وتعالى، أنزل على محمد النبوة، وابتعثه بالرسالة، رحمة للناس كافة، والناس حينئذ في ظلمة الجاهلية، وضالتها[٢٩٣]، يعبدون أوثانها، ويستقسمون بأزلامها[٢٩٤]، عنها يأتمرون أمرهم، وبها يحلون حلالهم، ويحرمون حرامهم. دينهم بدعة، ودعوتهم فرية[٢٩٥]، فبعث الله عز وجل بالحق محمداً ﷺ، رحمة منه لكم، ومنة منَّ بها عليكم، وبشّركم وأنذركم ذكر من كان قبلكم من الأمم، وقص في الكتاب قصة أمرهم، كيف نصحت لهم رسلهم، وكيف كذبوهم وتولوا عنهم، وكيف كانت عقوبة الله إياهم، فوعظكم الله بنكال من قبلكم[٢٩٦]، وأمركم أن تقتدوا بصالح فعالهم، فبلغ محمد الرسالة، ونصح الأمة، وعمل بالطاعة، وجاهد العدو، فأعز الله به أمره، وأظهر به نوره، وتمت به كلمته، وانتجب[٢٩٧] له أقواماً عرفوا حق الله، واعترفوا به، وبذلوا له دماءهم وأموالهم فيهم من هجر داره وعشيرته[٢٩٨] إلى الله عز وجل، ومنهم آوى ونصر فآسوا بأنفسهم، وآسوا به[٢٩٩]. ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، فأيد الله بهم الدين، ودمغ[٣٠٠] الحق

---

(٢٨٩) العبر: جمع عبرة: وهي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره. النهاية (٣:٦٢)

(٢٩٠) أي أنه فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام. النهاية (٣:١٩٧).

(٢٩١) في المخطوطة «البشر» أي بباء قبل الشين.

(٢٩٢) العمى: أي الضلالة. النهاية (٣:١٣٠).

(٢٩٣) هكذا في المخطوطة «وضالتها» ولعل صحتها «وضلالتها».

(٢٩٤) الأزلام: جمع زلم. وهي: القداح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهي، افعل ولا تفعل. كان الرجل منهم يضعها في وعاء له فإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمراً مهماً. أدخل يده فأخرج منها زلماً فإن خرج الأمر مضى لشأنه وإن خرج النهي كف عنه ولم يفعله. النهاية (٢:١٣٠).

(٢٩٥) الفرية: هي: الكذبة. النهاية (٣:١٩٨).

(٢٩٦) نكال من قبلكم: النكال العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاءا. النهاية (٤:١٨٧).

(٢٩٧) انتجب: أي اختار. القاموس (١:١٣٥).

(٢٩٨) العشيرة: واحدها عشير: وهو القريب والصديق. القاموس (٢:٩٢).

(٢٩٩) المواساة: أي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق. النهاية (١:٣٢).

(٣٠٠) دمغ الحق الباطل: أي أهلكه: يقال دمغه يدمغه دمغاً إذا أصاب دماغه فقتله. النهاية (٢:٣١).

الباطل، وأبطلت دعوة الطواغيت، وكسرت الأزلام وتركت عبادة الأوثان، وأجيب داعي الله وظهر دين الله، وعرف الناس أمر الله عز وجل، واعترفوا بقضاء الله وشهدوا بالحق، وقالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأدوا فرائض الله عز وجل، وأعقب الله نبيه محمداً ﷺ ومن استجاب له، أجراً ونصراً ووعداً وسلطاناً، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً، فلما أحكم الله النهي عن معصيته، وخلصت الدعوة، وايتطى[٣٠١] الإسلام لأهله، شرع الدين شرائعه وفرض فرائضه وأعلم الدين علامة يعلمها أهل الإسلام، وحدَّ الحدود، وحرم المشاعر[٣٠٢] وعلم المناسك[٣٠٣]، ومضت السنة، واستتاب المذنب، ودعا إلى الهجرة، وفتح باب التوبة، حجة له، ونصيحة لعباده. فالإسلام عند أهله عظيم شأنه، معروف سبيله[٣٠٤]، لحقوقه متفقدون، وله متعاهدون يعرفونه، ويعرفون به، بالاجتهاد بالنية والاقتصاد بالسنة، لا يبطرهم[٣٠٥] عنه رخاء[٣٠٦] من الدنيا أصابهم، ولا يضيعونه لشدة بلاء نزل بهم، ذلك بأنهم جاءهم أمر الله، أيقنت نفوسهم، واطمأنت به قلوبهم، يسيرون منه على أعلام[٣٠٧] نبيه، وسبل واضحة. حكم فرغ الله منه، لا تلتبس به الأهواء، ولا تزيغ به القلوب، عهد عهده الله إلى عباده، وإنما كانت هذه الأمة كبعض الأمم، التي مضت قبلها جاءها نذير منها ودعاها بما يحييها ونصح لها، وجهد وأدى الذي عليه من الحق. فاستجاب له مستجيبون، وكذَّب به مكذبون، فقاتل من كذبه، بمن استجاب له. حتى أحل حلال الله، وحرم حرامه، وعمل بطاعته، ثم نزل بهذه الأمة موعود الله، الذي وعد من وقوع الفتنة[٣٠٨]، يفارق رجال عليه رجالاً، ويوالي

---

(٣٠١) ايتطى: ومعناه: تهيأله أهله ووافقهم وسهل عليهم. من قوله: ايتطى يأتطى، كايتلي يأتلي، بمعنى الموافقة والمساعفة. وهو من قول بني قيس. النهاية (٤: ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٣٠٢) المشاعر: جمع مشعر؛ وهو موضع العبادة، ومنها الشعائر وهي المعالم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام عليها. النهاية (٢: ٢٢٤).

(٣٠٣) المناسك: جمع منسك: بفتح السين وكسرها - وهو المتعبد ويقع على المصدر والزمان والمكان، ثم سميت أمور الحج كلها مناسك، والمنسك المذبح، وقد نسك ينسك نسكاً إذا ذبح. والنسيكة الذبيحة. وجمعها نسك، والنسك أيضا الطاعة والعبادة، وكل ما تقرب به لله تعالى. النهاية (٤: ١٤٩).

(٣٠٤) في المخطوطة «سبله».

(٣٠٥) البطر: هو الطغيان. النهاية (١: ٨٣).

(٣٠٦) الرخاء: هو سعة العيش. النهاية (٢: ٧٥).

(٣٠٧) العلامة جمعها اعلام: وهي السمة والطريقة. والمراد هنا طريقة نبي الله ﷺ وسمته وهديه. انظر القاموس (٤: ١٥٥).

(٣٠٨) الفتنة: هي الامتحان والاختبار. النهاية (٣: ١٨٣).

رجال عليه رجالاً. فمن أراد أن يسائلنا عن أمرنا ورأينا فإنا قوم الله ربنا، والإسلام ديننا، والقرآن إمامنا، ومحمد نبينا، إليه نسند، ونضيف أمرنا إلى الله ورسوله، ونرضى من أئمتنا بأبي بكر وعمر، ونرضى أن يطاعا ونسخط أن يعصيا، ونعادي لهما من عاداهما، ونرجي منهم أهل الفرقة الأول. ونجاهد في أبي بكر وعمر الولاية، فان أبا بكر وعمر لم تقتتل فيهما الأمة، ولم تختلف فيهما، ولم يشك في أمرهما، وانما الارجاء ممن عاب الرجال، ولم يشهده، ثم عاب علينا الإرجاء(٣٠٩) من الأمة، وقال متى كان الإرجاء. كان على عهد موسى نبي الله، اذ قال له فرعون ﴿مَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] قال موسى وهو ينزل عليه الوحي: حتى قال: ﴿عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ [طه: ٥٢]. فلم يعنف بمثل حجة موسى. وممن نعادي فيهم شبيبة متمنية. ظهروا بكتاب الله، واعلنوا الفرية(٣١٠) على بني أمية، وعلى الله، لا يفارقون الناس ببصرٍ نافذ ولا عقلٍ بالغ في الإسلام، ينقمون المعصية على من عملها، ويعملون بها. إذا ظهروا بها ينصرون فتنتها، وما يعرفون المخرج منها. اتخذوا أهل بيت من العرب إماماً، وقلدوهم دينهم، يتلون على حبهم، ويفارقون على بغضهم، جفاة(٣١١) على القرآن، أتباع الكهان، يرجون دولة تكون في بعث يكون قبل الساعة، أو قبل قيام الساعة، حرَّفوا كتاب الله، وارتشوا في الحكم وسعوا في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، وفتحوا أبواباً كان الله سدها، وسدوا أبواباً كان الله فتحها. ومن خصومة هذه الشبيبة التي أدركنا، أن يقولوا هدينا بوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي. ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن. ولو كان نبي الله كاتماً شيئاً مما أنزل الله، لكتم شأن امرأة زيد ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣١] وقوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] وقوله: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٤]. فهذا أمرنا ورأينا، وندعوا إلى الله من أجابنا، ونجيب إليه من دعانا، لا نألوا فيه عن طاعة ربنا، وأداء الحق الذي

← والمراد هنا ابتلاء المسلمين بأهل البدع والأهواء الذين يحاولون اضلال المسلمين عن الحق باشعال الفتن بينهم كما فعل ابن سبأ وأتباعه.

(٣٠٩) الارجاء: هو التأخير، وأخذ منه تسمية المرجئة: وهم فرقة يعتقدون أنه لايضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة: سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخره عنهم. النهاية (٢: ٧١).

(٣١٠) الفرية: هي الكذبة. النهاية (٣: ١٩٨).

(٣١١) جفا: الجفاء هو غلظ الطبع. النهاية (١: ١٦٨).

علينا، ونذكر به قومنا، ومن سألنا من أئمتنا، فيستحلون بعده دماءنا، أو يعرضوا دماءهم لنا. فالناس مجموعون عند ربهم، في موطن صدق، ويوم يكون الحق لله، ويبرأ(٣١٢) فيه البائع من المبيوع، ويدعو الانسان على نفسه بالثبور، فادخروا من صالح الحجج(٣١٣) عند الله، فإنه من لا يكون يظفر بحجته في الدنيا، لم يظفر بها في الآخرة، كتاب كتبته نصيحة لمن قبله، وحجة على من تركه، والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(٣١٤).

---

(٣١٢) في المخطوطة هكذا «يبروا».

(٣١٣) الحجج: جمع حجة: وهي: الدليل والبرهان. النهاية (١: ٢٠٢).

(٣١٤) سند الأثر: متصل وهو حسن.

ولم أر من أخرجه غير المصنف، ولكن هناك اشارات إليه. حيث قال ابن سعد عند ترجمة الحسن بن محمد ابن الحنفية (٥: ٣٢٨) أنه أول من تكلم بالإرجاء وذكر أنه أخبره موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة أنهما دخلا على الحسن بن محمد بن علي فلاماه على الكتاب الذي وضع في الإرجاء فقال لزاذان: يا أبا عمرو لوددت أني كنت مت ولم أكتبه.

ولكن الحافظ ابن حجر عندما أورد كلام ابن سعد وما ذكره عن زاذان وميسرة قال في التهذيب (٢: ٣٢٠ - ٣٢١) ما نصه: «قلت: المراد بالإرجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذي يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور، أخرجه ابن أبي عمر العدني في كتاب الإيمان له، في آخره. قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبدالواحد بن أيمن قال: كان الحسن بن محمد يأمرني أن أقرأ هذا الكتاب على الناس أما بعد: فإنا نوصيكم بتقوى الله، - فذكر كلاماً كثيراً في الموعظة والوصية بكتاب الله واتباع ما فيه وذكر اعتقاده، ثم قال في آخره: ونوالي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ونجاهد فيهما لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة ولم تشك في أمرهما، ونرجي من بعدهما ممن دخل في الفتنة فنكل أمرهم إلى الله. إلى آخر الكلام. فمعنى الذي تكلم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين في الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيباً. وكان يرى أنه يرجيء الأمر فيهما. أما الإرجاء الذي يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه، فلا يلحقه بذلك عاب، والله أعلم».

قلت: إن ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله هو ما يفهم من الكتاب المذكور للمتأمل فيه.

فهو بعد أن أوصى بالتزام كتاب الله عز وجل، ومراقبته باتباع أمره واجتناب نهيه، أكّد لهم أن كتاب الله هو العروة الوثقى، حيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فمن أخذ به نجا، ومن حاد عنه هلك. فهو نور من الظلمة، وبصر من العمى، وهدى من الضلالة. وذكرهم بما كانت عليه حالهم قبل مبعث رسوله، وإنزال كتابه، من الجهالة والضلالة وسوء الحال. وما صار إليه حالهم بعد ذلك من هدى وعلم واستقرار واطمئنان، وعز بعد ذلة، وجمع بعد فرقة، ونصر بعد هزيمة، وأخبرهم أنهم لا يزالون كذلك، وما حكّموا كتاب الله والتزموا سنة رسوله. ثم ذكّرهم بما نزل في هذه الأمة، من الفتن والفرقة، بسبب دسائس أعداء الإسلام، يشير بذلك إلى ما وقع من بعض المسلمين ضد عثمان رضي الله عنه، وما تبع ذلك من قتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وذكر مذهبه وموقفه فيما حدث بينهما، وهو إرجاء أمرهما إلى الله عز وجل، فهو لا يستطيع تخطئة إحدى الطائفتين، لعدم اتضاح الحق في الأمر عنده.

وأكد موالاته للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لاتفاق الأمة على خلافتهما، واجتماع المسلمين عليهما. ←

← وأنه مذهبه عليه يحيى وعليه يموت، وإن استحل دمه، أو عرّض غيره دمه له.
وأشار إلى حركات الخوارج والرافضة وغيرهم من أصحاب الأهواء، وخروجهم على خلفاء الأمة، وما نشأ عنها من فتنة وفرقة بين المسلمين، وعاب ما ادعاه بعضهمَ من كتم النبي ﷺ لبعض أمور الدين واختصاص بعض رؤوسهم بالعلم بها دون سائر المسلمين. ونوّه أنه ﷺ قد بلّغ أمته جميع ما أمره به ربه، وأنه لو كان كاتما شيئا لكتم أموراً خاصة أوضحها القرآن الكريم.
وأن ما دفعهم إلى ذلك هو مجرد الهوى، والطمـوح لأمور دنيوية. وخوّف من الله، وذكر يوم الوقوف بين يدي الله، يوم لاينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، مؤكدا أن النجاة من هذا الموقف الرهيب، تكون بطلب الحجة والبرهان في الدنيا، المتمثل ذلك في اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولزوم جماعة المسلمين، ومن لم يظفر بحجته في دنياه فلن يدركها في أخراه.
وهذا الكتاب في مجموعه يؤكد أن السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة يكمن في التزام الكتاب والسنة ولزوم جماعة الأمة، وأنه لا إيمان بلا عمل، ولا عمل بغير التزام ذلك. والله أعلم.